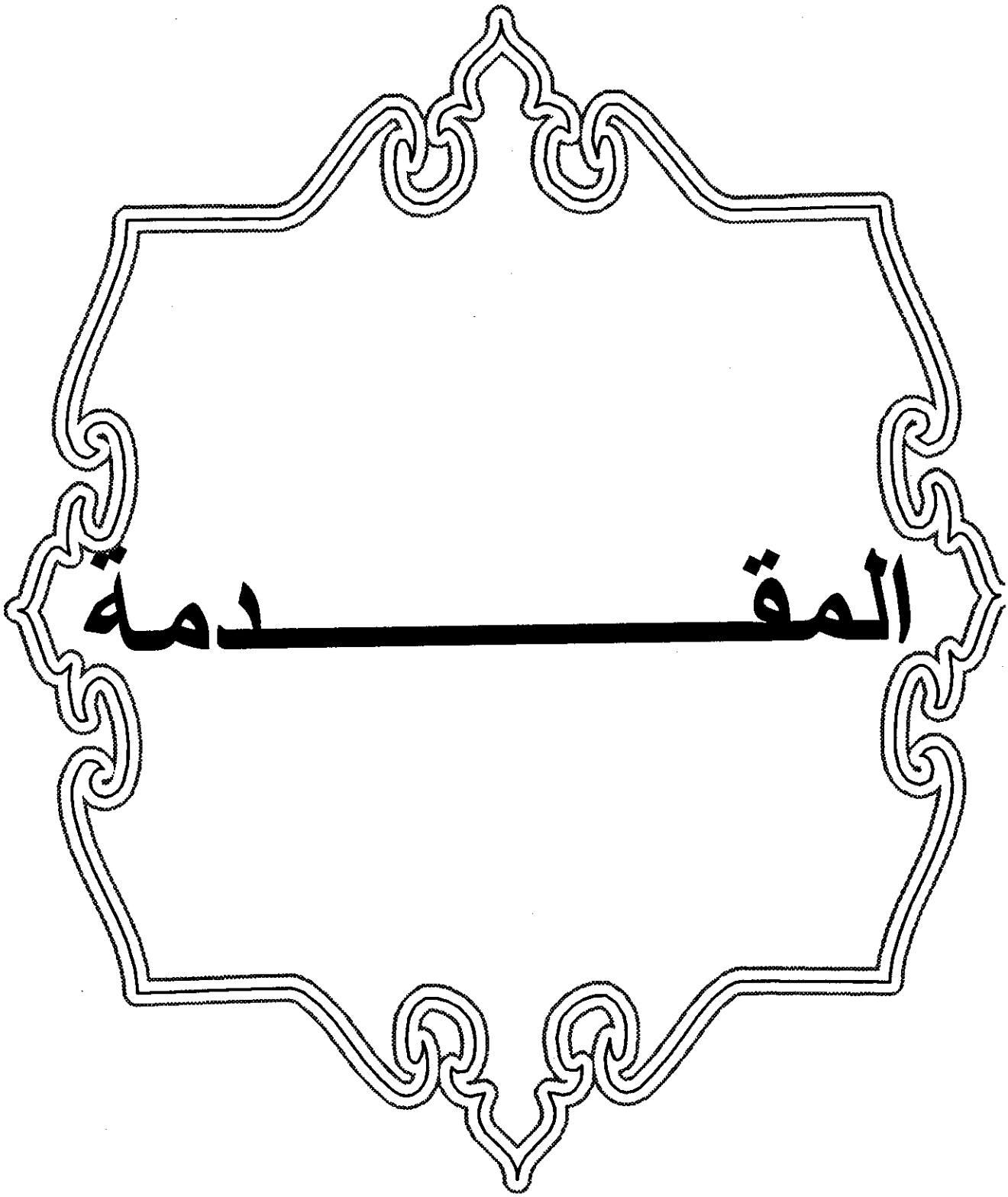
المقـــــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

تشكل دراسة القبائل البربريةفى الشمال الإفريقى الأساس الذى ينتظم عليه دراسة تاريخ سكان البلاد والدول التى قامت هناك ، لأن مجتمع الشمال الأفريقي مجتمع قبلى . ورغم أهمية دراسة القبائل فلم تحظ هذه القبائل بدراسة متكاملة تبين دورها ، خاصة تلك التى لم تُقم دولاً مستقلة أو تكن سنداً أرتكنت عليه دول أخرى فى قيامها . وحتى هذه الدراسات لم تتعمق داخل بنيات القبيلة وإنما رصدت دور الدولة التى اعتمدت على هذه القبيلة[1] وبذلك خلت المكتبة العربية من دراسات متخصصة عن معظم القبائل البربرية ودراسة بنيتها الاجتماعية والاقتصادية ودورها فى الحياة السياسية . لذا كانت هذه الدراسة لتناول تاريخ مكناسة الشمال فى بلاد المغرب - لأن مكناسة الجنوب أقامت دولة بنى مدرار التى تناولها كثير من الباحثين المحدثين - والتى لعبت دوراً بارزاً فى تاريخ المغرب الإسلامى بعامة ، والمغرب الأقصى فى القرن الرابع الهجرى والنصف الأول من القرن الخامس الهجرى بصفة خاصة.

لقد تأخرت قبيلة مكناسة عن المشاركة فى تاريخ المغرب الإسلامى ليس لقلة عددها أو ضعف قوتها ، وإنما بسبب تمركز معظم بطونها فى المغرب الأقصى الذى لم يبسط العرب المسلمون سيطرتهم عليه إلا مع نهاية القرن الأول الهجرى ، وأغفلت المصادر رصد دور مكناسة فى معارضة أو معاضدة العرب المسلمين سوى شذرات متفرقات تحتاج إلى بحث وتجميع

---

[1] إقبال موسى بن علاوة ، دور قبيلة كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس.

لرصد هذا الدور ، خاصة تحولها إلى الإسلام ، ودون المؤرخون تاريخها حين شاركت في ثورة البربر الكبرى سنة ١٢٢ هـ ، التي قلصت سلطان العرب المسلمين عن المغرب الأقصى ، وجعلته منطقة فراغ سياسي مما أتاح قيام دول مستقلة هناك ، أسس إحداها بطون مكناسية نزحت إلى جنوبي المغرب الأقصى ، وهي دولة بني مدرار.

عاود المؤرخون إغفال تاريخ قبائل مكناسة التي ظلت ضاربة في شمالي المغرب الأقصى ؛ إذ خضعت هذه القبائل لسلطان الدول والإمارات التي قامت هناك مثل إمارة نكور ودولة الأدارسة ، وظلت مكناسة الشمال مجهولة الذكر كقوة صاحبة سيادة ، وإن رصد المؤرخون القدامى بعض تاريخها كرعية خاضعة لأصحاب السلطان بالمغرب الأقصى ، حتى ظهرت بين قبائلها زعامة قوية تمثلت في موسى بن أبي العافية ومن خلفه زعمائها لتفرض نفسها على صفحات التاريخ بعد أن باتت قوة لها وزنها بالمغرب الأقصى ، زاد من فاعليتها استراتيجية مضاربها ، ناهيك بطموح بعض زعمائها الآخرين الذين بحثوا عن دور لهم مع القوى الكبرى في المغرب الإسلامي التي مثلها آنذاك قيام الخلافة الفاطمية في المغرب والخلافة الأموية في الأندلس . فعندما قامت الدولة الفاطمية في إفريقية وتطلعت إلى بسط سلطانها على المغرب الأقصى أسندت قيادة جيشها لأحد زعماء مكناسة الشمال أملاً في استقطاب بني قومه لتتمكن من تحقيق بغيتها ، واهتبل زعيم مكناسة الشمال الفرصة ، ودار في فلك الفاطميين أملاً في تحقيق مبتغاة بالقضاء على الإمارات الإدريسية واستخلاص المغرب الأقصى لسلطانه . وحقق الفاطميون له بعض المبتغى بيد أن طموحه كان أكبر كثيراً مما حازه ، فتلفت بحثاً عن حليف آخر يعطيه صفة المشروعية لحكم بلاد المغرب الأقصى ، ويحقق له الاستقلال بالبلاد.

وجدت مكناسة الشمال ذلك فى الخليفة الأموى الذى مناها بالكثير ، ولكن الفاطميين لم يستكينوا لضياع المغرب الأقصى ، فجردوا الجيوش للقضاء على مكناسة الشمال وإن كانوا قد نجحوا فى إضعاف قواها إلى حين إلا أنهم لم ينجحوا فى القضاء عليها . لقد اقتسم زعماء مكناسة الإمارة التى كانت فى حوزتهم ، واندلع الصراع بينهم من أجل الزعامة ، فألحقوا بإمارتهم ما لم يتمكن أعداؤهم من تحقيقه ، وخبى ذكر مكناسة الشمال من جديد من الحياة السياسية ، بيد أن ذلك لم يمنعها من مواصلة مشاركتها وتأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المغربين الأقصى والأوسط ، بعمل أبنائها فى مجال التجارة كأدلاء وحراس للقوافل التجارية وكذلك دورها فى الإنتاج الزراعى والرعوى والحيوانى.

ومن خلال ما تجمع لدينا من مادة تاريخية أمكن دراسة دور مكناسة الشمال وفق منهج يعول على الإفادة من كافة المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الطبقات والتراجم ومحاولة استجلاء الغموض عن بعض الأحداث التى عزت مصادرها ، دونما عسف فى التأويل أو افتئات على الحقيقة . وحتم هذا المنهج تقسيم الموضوع إلى خمسة فصول وخاتمة.

تناول الفصل الأول وهو بعنوان " قبيلة مكناسة بطونها ومضاربها ومذاهبها " ورصد أصل مكناسة وبطونها وتحولها إلى الإسلام ودورها فى ثورة البربر وكذلك انقسامها إلى مكناسة الجنوب ومكناسة الشمال ثم تناول دور مكناسة الشمال كرعايا لإمارة نكور ودولة الأدارسة . أما الفصل الثانى وهو بعنوان " مكناسة والفاطميون " وفيه درست محاولات الفاطميين لبسط سلطانهم على المغرب الأقصى وظهور مكناسة الشمال كقوة لها وزنها هناك وكيف حاولت تحقيق أهدافها فى المغرب الأقصى من خلال الفاطميين وعندما لم يحقق الفاطميون هدف مكناسة الشمال خرجوا على الفاطميين ومن ثم تعرضوا لنقمتهم حتى ضعفت قوتهم . وناقش الفصل الثالث وهو

بعنوان " مكناسة والقوى الأخرى بالمغرب " علاقة مكناسة الشمال بكل من الإمارات الإدريسية وإمارة نكور بالمغرب الأقصى وموقفها من قبيلة مغراوة الزناتية بالمغرب الأوسط.

وأفردت الفصل الرابع الذى عنوانه " مكناسة والأمويين بالأندلس " وفيه درست طموح مكناسة التى خلعت طاعة الفاطميين ، وانضوت تحت لواء الأمويين طمعا فى تحقيق هدفها فى الاستقلال بالمغرب الأقصى والارتكان على مساعدة الأمويين فى مواجهة الفاطميين مستغلة الصراع بين القوتين لتحقيق مآربها.

واختص الفصل الخامس " بمجتمع مكناسة الشمال " حيث تناول نظم الحكم التى سادت إمارة مكناسة الشمال فى شرقى المغرب الأقصى ومدى تأثرها بالنظم الإسلامية والنظم القبلية كما تحدثت فيه عن دور مكناسة الشمال فى الحياة الاجتماعية والحياة الثقافية ، وتنتهى الدراسة بخاتمة أوضحت فيها أهم نتائج البحث *

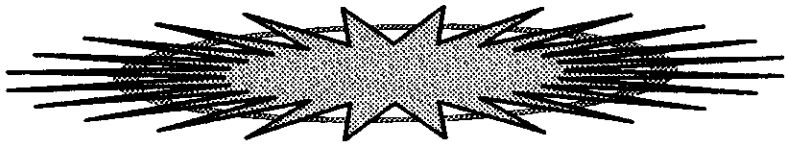

شـــــكر وتقـــــدير

أتقـدم بشـكرى الجزيـل إلـى أسـتاذى العزيـز الأسـتاذ الدكتور / محمد عيسى الحريرى عميد كلية الآداب بجامعة المنصـورة على ما بذله من عون وجهد ووقت فى سبيل إنجاز هذه الدراسة كمـا أتوجه بالشكر إلى أستاذتى الفاضلة الأستاذة الدكتورة / راجية إبراهيم عبد الوهاب على ما قدمته لى من عـون ومسـاعدة لتخـرج هـذه الدراسة إلى النور .

كما أتقدم إلى والدى ووالدتى بكل الشكر والتقدير والمحبة جعل الله حياتهما دائماً عطاء لى فى كل وقت .

والله الموفق ،،